

«لِلَّهِ دَرْكٌ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ» ١٦ مُحَرَّم ١٤٤٧ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِمَّا ابْتُلِيَتْ بِهِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ خُرُوجَ فِرْقَةٍ مَارِقَةٍ عَنِ الدِّينِ لَا يَأْتُونَ فِي مُسْلِمٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْخَوَارِجُ، الَّذِينَ زَعَرُوا أَمْنَ الْبُلْدَانِ، وَرَوَّعُوا سُكَّانَهَا، وَجَعَلُوا لِلْكَفَّارِ عَلَيْهَا سَبِيلًا، وَلَوْ لَا فِتْنَةُ النَّاسِ بِهِمْ؛ حَيْثُ إِنَّهُمْ يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ لِبَاسَ الدِّينِ، فَيَقُولُونَ بِالْجِهَادِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَرُجُوعِ الْخِلَافَةِ، مِمَّا يَنْطَلِي عَلَى عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، لَوْ لَا ذَلِكَ مَا كَانَ الرَّدُّ عَلَيْهِمْ، وَلَكَانَ عِلَاجُهُمْ إِهْمَالُهُمْ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّوَاعِقِ الْمُرْسَلَةِ»: «أَمَّا الْجَاهِلُ الْمُقَلِّدُ فَلَا تَعَبًا بِهِ، وَلَا يَسُوكَ سَبُّهُ وَتَكْفِيرُهُ وَتَضْلِيلُهُ، فَإِنَّهُ كُنْبَاحُ الْكَلْبِ، فَلَا تَجْعَلْ لِلْكَلْبِ عِنْدَكَ قَدْرًا، أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ كُلَّمَا نَبَحَ عَلَيْكَ، وَدَعُهُ يَفْرَحُ بِنَبَاحِهِ وَافْرَحَ أَنْتَ بِمَا فَضَّلْتَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْهُدَى، وَاجْعَلِ الْإِعْرَاضَ عَنْهُ مِنْ بَعْضِ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي سَاقَهَا إِلَيْكَ، وَأَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ. اهـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: كَانَتْ بَدَايَةُ ظُهُورِ الْخَوَارِجِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَه، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ [مَوْضِعٌ بِقُرْبِ مَكَّةَ] وَهُوَ يَقْسِمُ التَّبَرَّ وَالْغَنَائِمَ [التَّبَرُّ: هُوَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ قَبْلَ أَنْ يُصَاعَا]، وَهُوَ فِي حِجْرِ بِلَالٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: اْعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ بَعْدِي إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟» فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أَضْرِبَ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا فِي أَصْحَابٍ، أَوْ أَصْحَابٍ لَهُ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَجَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «الشَّرِيعَةُ»: «بَابُ ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَسُوءِ مَذَاهِبِهِمْ، وَإِبَاحَةِ قِتَالِهِمْ وَثَوَابِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ»، ثُمَّ قَالَ: لَمْ يَخْتَلِفِ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنَّ الْخَوَارِجَ قَوْمٌ سُوءٌ، عَصَاةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَإِنْ صَلَّوْا وَصَامُوا، وَاجْتَهَدُوا فِي الْعِبَادَةِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ، نَعَمْ، وَيُظْهِرُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى مَا يَهُوُونَ، وَيَمُوتُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ حَذَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ، وَحَذَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ، وَحَذَرَنَا هُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ، وَحَذَرَنَا هُمُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَالْخَوَارِجُ هُمُ الشُّرَاةُ الْأَنْجَاسُ الْأَرْجَاسُ، وَمَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ

مِنَ الدِّينِ، وَأَمَرَ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ بِقَتَالِهِمْ، وَبَيَّنَ فَضْلَ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ خَرَجُوا مِنْ بُلْدَانِ شَتَّى، وَاجْتَمَعُوا وَأَظْهَرُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَقَتَلُوا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ اجْتَهَدَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ فِي أَنْ لَا يُقْتَلَ عُثْمَانُ، فَمَا أَطَاقُوا عَلَى ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَرْضُوا لِحُكْمِهِ، وَأَظْهَرُوا قَوْلَهُمْ وَقَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَلِمَةٌ حَقٌّ أَرَادُوا بِهَا الْبَاطِلَ، فَقَاتَلَهُمْ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَتْلِهِمْ، وَأَخْبَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِفَضْلِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، وَقَاتَلَ مَعَهُ الصَّحَابَةُ، فَصَارَ سَيْفُ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْخَوَارِجِ سَيْفَ حَقٍّ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْخَوَارِجُ لَا يَزَالُونَ يَخْرُجُونَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَلَكِنْ كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ مَعَ الدَّجَالِ؛ لِذَلِكَ فَمَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفَجِّرُونَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَيَقْتُلُونَ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَمِنِينَ وَالْمُسْتَأْمِنِينَ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا وَرَاثٌ لِأَوْلِيكَ وَعَلَى مَنْهَجِهِمْ سَارُوا.

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ حَثَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلِهِمْ وَقِتَالِهِمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ وَمَنْ يُؤَلِّيه عَلَى ذَلِكَ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ لَا تَكَلُّوا عَنِ الْعَمَلِ.

وَوَرَدَتْ أَيْضًا أَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَصْفِهِمْ بِأَنَّهُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، وَأَنَّهُمْ كِلَابُ النَّارِ، وَإِنْ كَانُوا يُظْهِرُونَ الصَّلَاحَ وَالْإِسْتِقَامَةَ وَالْجِهَادَ زَعَمُوا. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ

أُمِّي - أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمِّي - قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ».

فَلَا يَغُرَّنْكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - مَا يَتَزَيُّونَ بِهِ مِنَ الصَّلَاحِ، وَدَعْوَى الْجِهَادِ وَالِاسْتِقَامَةِ، فَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُهُمْ شَيْئًا، وَلَا يَتَجَاوِزُ إِلَى قُلُوبِهِمْ، أَخْرَجَ الْأَجْرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ»، وَاللَّكَايُ فِي «أُصُولِ الْإِعْتِقَادِ»، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَذَكَرَ لَهُ الْخَوَارِجُ وَاجْتِهَادُهُمْ وَصَلَاتُهُمْ، قَالَ: لَيْسَ هُمْ بِأَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ. وَأَخْرَجَ الْأَجْرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ قَالَ: قِيلَ لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، خَرَجَ خَارِجِي بِالْخُرَيْبَةِ [مَحَلَّةٌ عِنْدَ الْبَصْرَةِ]، فَقَالَ: الْمُسْكِينُ رَأَى مُنْكَرًا فَانْكَرَهُ، فَوَقَعَ فِيمَا هُوَ أَنْكَرُ مِنْهُ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ رَأَى اجْتِهَادَ خَارِجِيٍّ قَدْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ، عَدْلًا كَانَ الْإِمَامُ أَوْ جَائِرًا، فَخَرَجَ وَجَمَعَ جَمَاعَةً وَسَلَ سَيْفَهُ، وَاسْتَحَلَّ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَغْتَرَّ بِقِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَلَا بِطُولِ قِيَامِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَلَا بِدَوَامِ صِيَامِهِ، وَلَا بِحُسْنِ الْفَاطَةِ فِي الْعِلْمِ إِذَا كَانَ مَذْهَبُهُ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قُلْتُهُ أَخْبَارٌ لَا يَدْفَعُهَا كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ لَعَلَّهُ لَا يَخْتَلِفُ فِي الْعِلْمِ بِهَا جَمِيعُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ. اهـ

وَهَذَا حَالُ الْخَوَارِجِ تَمَامًا، يَرُونَ الْمُنْكَرَاتِ فَيَلْجَأُونَ إِلَى تَغْيِيرِهَا بِالسَّيْفِ، فَيَسْفِكُونَ الدَّمَ الْحَرَامَ، وَيَقْتُلُونَ الْمُسْلِمِينَ بِزَعْمِ انْكَارِ الْمُنْكَرِ وَإِصْلَاحِ الْحَالِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْخُرُوجَ عَلَى حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ وَسَلَ السُّيُوفِ عَلَيْهِمْ سَبَبٌ عَظِيمٌ لِضَعْفِ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَأْخَرِهَا وَفَشْلُهَا، وَاسْتِغْلَالِ عَدُوِّهَا الْفُرْصَ ضِدَّهَا، فَآثَارُهُ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّمَارِ وَالْضَّرَرِ خَطِيرٌ، بِعَكْسِ مَا يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجُ مِنْ أَنَّهُمْ بِخُرُوجِهِمْ وَتَفْجِيرِهِمْ سَيَنْصُرُونَ الْإِسْلَامَ، وَيُقِيمُونَ دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ.

فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْآثَارِ الَّتِي يُخَلِّفُهَا الْخُرُوجُ عَلَى الْحُكَّامِ، وَعَدَمُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُمْ: ضَعْفُ الدَّوَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَانْتِهَاكُ قُوَاهَا، مَعَ مَا يَقَابِلُهُ مِنْ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَظُهُورِ شَوْكَتِهِ؛ فَإِنَّ فِي الْخُرُوجِ عَلَيْهِ إِضْعَافًا لِحَيْشِهِ، وَتَقْلِيلًا مِنْ عَدَدِهِمْ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَاكِمَ سَيَصُدُّ الْخَوَارِجَ وَسَيَقَاتِلُهُمْ، وَسَيَحَاوِلُ اسْتِصَالَ شَوْكَتِهِمْ، فَيَذْهَبُ كَثِيرٌ مِنْ جُنْدِهِ،

وَسَيُخْسِرُ كَثِيرًا مِنْ عَتَادِهِ، خَاصَّةً إِذَا كَانَ الْخَارِجِيُّ لَهُ شَوْكَةٌ وَشَافَةٌ وَقُوَّةٌ يَضَعُ اسْتِصْصَالُهَا. وَسَيَنْشَغِلُ الْمُسْلِمُونَ بِقِتَالِ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجِ، وَسَتَعَطَّلُ الثُّغُورُ وَيَنْشَغِلُونَ عَنْ إِعْدَادِ أَنْفُسِهِمْ، وَيَقِلُّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقْوَى الْعَدُوُّ، وَيَزْدَادُ فِي إِعْدَادِ نَفْسِهِ، إِنْ لَمْ يَدَاهِمِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ. وَفِي الْمُقَابِلِ فَإِنَّ الْخَوَارِجَ مَعَ قَتْلِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَإِضَاعَتِهِمْ لَهُمْ، يَتْرُكُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ وَالشِّرْكِ، وَيُؤَيِّدُونَ مَعَارِكَهُمْ ضِدَّ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ».

وَقَالَ الْعَلَامَةُ الْمُعَلِّمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «التَّنْكِيلِ»: وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُهُ [أَي: الْخُرُوجَ عَلَى الْحُكَّامِ الظَّالِمَةِ] يَرَى أَنَّهُ شَقٌّ لِعَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَتَفْرِيقٌ لِكَلِمَتِهِمْ، وَتَشْتِيتٌ لِحِمَاةِهِمْ، وَتَمْزِيقٌ لِحُدُودِهِمْ، وَشَغْلٌ لَهُمْ بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا؛ فَتَهْنُ قُوَّتُهُمْ، وَتَقْوَى شَوْكَةُ عَدُوِّهِمْ، وَتَعَطَّلُ ثُغُورُهُمْ، فَيَسْتَوْلِي عَلَيْهَا الْكُفَّارُ، وَيَقْتُلُونَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيُذَلُّونَهُمْ، وَقَدْ يَسْتَحْكِمُ التَّنَازُعُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَتَكُونُ نَتِيجَتُهُ الْفَشَلُ الْمُخْزِي لَهُمْ جَمِيعًا. وَقَدْ جَرَّبَ الْمُسْلِمُونَ الْخُرُوجَ فَلَمْ يَرَوْا مِنْهُ إِلَّا الشَّرَّ. اهـ

وَهَذَا الْأَثَرُ يَنْتُجُ عَنْهُ أَثَرٌ آخَرٌ خَطِيرٌ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ هَزِيمَتُهُمْ وَفَشْلُهُمْ أَمَامَ عَدُوِّهِمْ، فَيَحْدُثُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مَا لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهِ مِنْ اسْتِيلَاءِ الْكُفَّارِ عَلَى دَوْلَتِهِمْ، وَمَنْعِهِمْ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِمْ. وَمِنْ الْأَثَارِ السَّيِّئَةِ -أَيْضًا-: انْتِهَارُ الْعَدُوِّ لِهَذِهِ الْفُرْصَةِ، وَهِيَ اخْتِلَافُ الرَّعِيَّةِ عَلَى إِمَامِهِمْ، وَتَقَاتُلُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَيَنْهَضُ لِعَزْوِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ السَّطْوِ عَلَى بَعْضِ بُلْدَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَنُّ الْغَارَاتِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الْكُفَّارَ يَسْتَغْلُونَ أَيَّ فُرْصَةٍ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْنَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾، هَذَا إِذَا انْشَغَلُوا عَنْ أَسْلِحَتِهِمْ، فَكَيْفَ إِذَا انْشَغَلُوا بِبَعْضِهِمُ الْبَعْضَ، وَوَهَتْ قُوَّتُهُمْ، وَضَعُفَتْ شَكِيمَتُهُمْ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْإِسْتِذْكَارِ»: فَالْصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ الْإِمَامِ الْجَائِرِ أَوْلَى مِنَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ فِي مُنَازَعَتِهِ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِ اسْتِبْدَالَ الْأَمْنِ بِالْخَوْفِ، وَإِرَاقَةَ الدِّمَاءِ، وَانْطِلَاقَ أَيْدِي الدَّهْمَاءِ، وَتَبَيَّتِ الْغَارَاتُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا أَعْظَمُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى جَوْرِ الْجَائِرِ.